معهد الدين القيم

باشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس

(شرح السنة للبربهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (24)

التاريخ: الأحد 04/ربيع الثاني/1441 هـ

01/ديسمبر/2019 م

الدرس الرابع والعشرون من شرح السنة للبربهاري

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله؛ أمّا بعد:

وصَلنا عند قول المؤلف رحمه الله: ([154] وإذا أَرَدْتَ الاسْتِقامَةَ على الحَقِّ، وطَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ قَبْلَكَ؛ فاحْذَرْ الكلامَ وَأَصْحابَ الكلامِ، والجِدالِ، والمِراءِ، والقِياسِ، والمُناظَرَةِ في الدِّينِ؛ فَإِنَّ اسْتِماعَكَ مِنْهُمْ، وإن لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ؛ يَقْدَحُ الشَّكَّ في القَلْبِ؛ وكفى بِهِ قَبولاً؛ فَتَهْلَكَ، وما كانَتْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ، ولا بِدْعَةٌ، ولا هوًى، ولا ضَلالةٌ؛ إلّا منَ الكَلامِ والجِدالِ والمِراءِ والقِياسِ؛ وهي أبْوابُ البِدْعَةِ والشُّكوكِ والزَّنْدَقَةِ)

استمرّ المؤلّف في **التّحذير من مُجالسة أهل البدع**، ومن مُناظرتهم، وقد مَرّ معنا هذا الموضوع أكثر من مرّة، وفصلْنا القول فيه، وما ذاك منه رحمه الله؛ إلّا لِمعرفته بخطر هذا الداء، وعِظم ضررِه على المسلم؛ لذلك يكرّر ويؤكِّد، وسيأتي أيضاً تأكيدٌ آخر منه؛ لأنّ هذا الأمر خطير جدّاً، والتّهاون فيه يؤدّي إلى ضياع دين الشّخص، وضياع دين غيره ممّن يغترُّ به؛ لذلك بارك الله فيكم المسألة ليست مسألة اختيار، أو مزاج؛ والله أنا هذا الشّخص يأتي على مزاجي أُجالسُه، أو ما يأتي على مزاجي لا أجالسه! لا؛ المسألة مسألة دين وتقوى لله سبحانه وتعالى، وحلال أو حرام، يقول لك: حرامٌ عليك أن تُجالس المبتدع؛ القضية ليست قضية تشهّي؛ يحرُم عليك أن تجالس مُبتدعاً؛ لماذا؟

لأنّه خطر على دينك، أنت إذا جالسْت مُبتدعاً؛ إمّا أن تتأثّر به وتأخذ عنه بدعتَه، وتكون قد أهلكْت نفسك وضيّعتها بذلك، أو ألّا تأخُذ عنه؛ ولكن يقدح الشّك في نفسك ويُدخل عليك شيئاً من الشّبهات، أو أنّه لا يحصل هذا؛ ولكن يحصل اغترار النّاس بك، **أَهونُ الأمور؛ أقلّها: أن يغترّ النّاس بمُجالستك هذه، يرَونك جالساً مع مبتدع؛ فيُحسنون الظنّ به ويأتون ويجلسون معه**، وقد ذكرنا لكم حال الدّارقُطني رحمه الله، وأبي ذر الهروي عندما كان معه، لقي الدّارقطنيُّ أحد المُبتدعة فسلّم عليه، وقبّل على رأسه! والدّارقُطني إمام؛ فقال أبو ذر الهروي: هذا الإمام يفعل مع هذا الشّخص هذا الشيء؟! إذاً فالآخر إمام أيضاً؛ فذهب وأخذ عنه الأشعريّة؛ وصار أشعرياً، ثمّ نشر الأشعريّة في بلاد المغرب العربي.

انظروا المفسدة العظمى التي حصلت من وراء هذا الفعل الذي فعله الدّارقطني رحمه الله؟ هذا أقلُّ شيء يحصل معه؛ فما بالك بمن يجالسُهم ليل نهار، ويحبّهم؟ هذه أيضاً من المفسدة التي لمْ نذكرها؛ ربّما أنت لا تأخذ عنه البدعة بدايةً؛ ولكن تحبّه، كما يحصل من كثير من النّاس الذين يستمعون للمبتدعة؛ يقول لك: والله أنا أحبّ فلاناً، أحَبّه؛ إذن أخذ عنه خلاص؛ وهذا واقع، فإمّا أن تأخذ عنه أو أن تقع في محبّته؛ عندئذ تلتمس له الأعذار، ومُوالاته وموالاة المبتدع هكذا، وعدم مُعاداته؛ مُحرّم، مُخالف لِشرع الله سبحانه وتعالى.

وقد نقل علماء الإجماع على وجوب مُعاداة المُبتدع؛ أنت إذا أحببْته خالفتَ شرع الله سبحانه وتعالى؛ فهذه مفاسد ينبغي على المسلم أن يحذرها، وأن يجتنب مجالسة أهل البدع؛ فهم خطيرون على دينك.

والكلام هنا عن رؤوس المبتدعة، عن الدّعاة الذين يدعون إلى بدَعِهم، عندهم شبهات يبقونها على سمعك ويتلقفها قلبك؛ هذا الذي نتحدّث عنه، أمّا عامّة النّاس هؤلاء؛ يُتلطّف بهم، ويُدعَوْن بالرّفق وبالتي هي أحسن.

قال: (**وإذا أردْت الاستقامة على الحقّ**)

يعني إذا أردت أن تبقى على طريق الحق، وطريق أهل السنّة قبلك- الذين هم السّلف؛

(**فاحذر الكلام**) يعني ابتعد عن منهج أهل الكلام.

وأهل الكلام: هم أصحاب الكلام، الذين هم أصحاب العقول الذين يحكمون على شرع الله بعقولهم؛ الجهْميّة، والمُعتزلة، والأشاعرة، والماتريديّة، والكُلّابية؛ هؤلاء كلّهم أهل الكلام؛ عندهم قاعدة واحدة جميعاً يجتمعون عليها؛ هي تقديم العقل على النقل؛ كلّهم يجتمعون على هذا؛ هذا أصلُهم، يحكمون على الله بعقُولهم؛ هذا يجوز على الله، وهذا لا يجوز على الله!

من أين لك هذا؟

يقول لك: هكذا عقلي ركّبها، وهكذا عقلي لم يركّبها.

لِذلك تجد عندهم أنفسهم تخبُّطاً وخَلطاً عظيماً فيما بينَهم؛ كلّكم تجتمعُون على أنّ العقل هو الحاكم؛ فلماذا إذاً عقولكم تختلف؟! إذا كانت عقولكم هي الحاكمة لأنّها يقينيّة؛ فلماذا تختلف؟ لماذا تضطرب؟! لماذا عقل الجَهميّ يختلف عن المُعتزلي، وعقل المُعتزلي يختلف عن

الأشْعري، وعقل الأشعري يختلف عن المَاتُرِيدي؛ وهكذا؟ هذا يدلّ على أنّ عُقولَكم مُتخبّطة؛ خربة.

على كلٍّ؛ هؤلاء هم أهل الكلام، الذين يُقرِّرُون مسائل العقيدة بالكلام؛ بالعقل، فيقول لك المؤلف: هؤلاء تَجتنِبهم، تبتعد عنهم؛ لأنّهم رُؤوس أهل البدع، أو من رُؤوس أهل البِدع.

قال: (**وأصحاب الكلام والجدال والمِراء**) المِراء، المُخاصَمة، الجَدل؛ أخذ ورَدٌّ بلا فائدة.

قال: (**والقياس**) القياس العقلي في المسائل النّصيّة؛ في قضايا العقيدة، لا يوجد قياس في العقيدة، أو القياس الذي يذهب إليه هؤلاء القوم.

قال: (**والمُنَاظرة في الدّين**) ليس هناك شيء اسمه مُناظرَة في الأمور الشَرعيّة الدينيّة مع أهل البدع؛ لأنّ القضايا بيننا وبينهم قضايا منصوص عليها في الكتاب والسنّة؛ أدلة مُحكمة، وُضوحُها كوُضوح الشّمس، لا تحتاج إلى جدال ومناظرة وإلى تقريراتٍ لنخرّجها ونبيّنها؛ ما تحتاج لكل هذا؛ هي بيّنة واضحة، أدلّتها واضحة جدّاً، ما تحتاج إلى مُناظرات، المناظرة هنا معدومة، غير مقبولة أبداً- المُناظرة في الدّين- وكان السّلف رضي الله عنهم يُكثرون من التحذير من مناظرة أهل البدع، ومن مجالستهم، وممّا يُذكر في هذا المَوطن ما ذكره الآجرّي رحمه الله في أوّل كتاب "**الشّريعة**"[1]؛ ذكر هذه القضايا: التّحذير من مجالسة أهل البدع ومن مناظرتِهم؛ قال رحمه الله: "فإن قال قائل: فإن كان رجلٌ قد علّمه الله عز وجل علماً، فجاءه رجُل يسألُه عن مسألة في الدّين؛ يُنازعُه فيها ويُخاصِمه، ترى له أن يُناظر حتّى تثبُت عليه الحجّة، ويردّ عليه قوله؟"

هذا سؤال وُجِّه للآجُريّ؛ فأجاب قائلاً: "قيل لَه: هذا الذي نُهِينا عنه"، لم يقل: هذا الذي أنهاك عنه؛ الآجرّي عندما يتكلم ويذكر في كتابه "**الشريعة**"؛ يقرّر عقيدة أهل السنّة والجماعة؛ لا منهجَه هو، فيقول هنا: "هذا الذي نُهينا عن؛ وهو الذي حذّرناه من تقدّم من أئمّة المسلمين"

يعني: مثل هذه الصّورة، "فإن قال قائل فماذا نصنع؟ قيل له: إن كان الذي يسألُك مسألتُه مسألة مُسترشِد إلى طريق الحق، لا مُناظرة؛ فأرْشِده بألطف ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب والسنّة،

1- (449/1)

وقول الصّحابة، وقول أئمة المسلمين رضي الله عنهم"؛ هذا القسم الأول، فقسّم السّائل إلى قسمين:

- القسم الأوّل: شخص سائل مسترشد؛ يعني جاهل يريد أن يتعلّم فقط؛ فهذا تبيّن له الحق بأدلّته؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ، قال أصحاب النبي ﷺ، قال أئمة الإسلام كالشّافعي وأحمد، ومالك.... إلخ
- ثم قال في القسم الثاني من السائلين: "وإن كان يريد مُناظرتك ومُجادلتك؛ فهذا الذي كَرِه لك العلماء؛ فلا تُناظره، واحذرْه على دينك؛ كما قال من تقدّم من أئمّة المسلمين؛ إن كنت لَهم متّبعاً"، أي: إن كنت تدّعي اتّباع منهج السّلف؛ فهذا هو منهج السّلف.

قال: "فإن قال: فنَدعُهم يتكلّمون بالباطل ونسكُت عنهم؟" الشبهات نفسها؛ كلام الشّيطان حين يَنْزَغُ به للنّاس هو واحد؛ نفس الشيء؛ نفس الكلام الذي نسمع به اليوم.

قال: "فإن قال فندَعُهم يتكلّمون بالباطل ونسكت عنهم؟ قيل له: سُكوتُك عنهم، وهِجرتُك لِما تكلّموا به؛ أشدّ عليهم من مناظرتِك لهم؛ كذا قال من تقدّم من السلف الصالح من علماء المسلمين"؛

هذا رد علمائك عليك في هذا القضية.

والإمام أحمد رحمه الله- كما ذكر ذلك ابن بطة العُكبُري عنه[1]-؛ أنه كتب إليه رجل كتاباً يستأذنه فيه أن يضع كتاباً يشرح فيه الرّد على أهل البدع، وأن يحضر مع أهل الكلام فيُناظرهم ويحتجّ عليهم، يعني: يريد أن يُجالس أهل البدع ويُناظرُهم ويتكلّم معهم ويُقيم الحجّة عليهم؛ فكتب إليه أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَكَ، وَدَفَعَ عَنْكَ كُلَّ مَكْرُوهٍ وَمَحْذُورٍ، الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَدْرَكْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْكَلَامَ، وَالْجُلُوسَ مَعَ أَهْلِ الزَّيْغِ، وَإِنَّمَا الْأُمُورُ فِي التَّسْلِيمِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ لَا فِي الْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالزَّيْغِ لِتَرُدَّ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يُلَبِّسُونَ عَلَيْكَ، وَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ؛ فَالسَّلَامَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي تَرْكِ مُجَالَسَتِهِمْ، وَالْخَوْضِ مَعَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ؛ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ امْرُؤٌ، وَلْيَصِرْ إِلَى مَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ

---

[1]- في "الإبانة الكبرى" (471/2)

غَدًا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُقَدِّمُهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَكُنْ مِمَّنْ يُحْدِثُ أَمْراً، فَإِذَا هُوَ خَرَجَ مِنْهُ؛ أَرَادَ الْحُجَّةَ، فَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى الْمُحَالِ فِيهِ، وَطَلَبِ الْحُجَّةِ لِمَا خَرَجَ مِنْهُ بِحَقٍّ أَوْ بِبَاطِلٍ؛ لِيُزَيِّنَ بِهِ بِدْعَتَهُ وَمَا أَحْدَثَ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَكُونَ قَدْ وَضَعَهُ فِي كِتَابٍ قَدْ حُمِلَ عَنْهُ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُزَيِّنَ ذَلِكَ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ وَإِنْ وَضَحَ لَهُ الْحَقُّ فِي غَيْرِهِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لَنَا وَلَكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ".

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَكَ، وَدَفَعَ عَنْكَ كُلَّ مَكْرُوهٍ وَمَحْذُورٍ، الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَدْرَكْنَا)، من سلفنا

تعلّموا من الإمام أحمد، قبل أن نتعلّم منهم العلم؛ لابد أن نتعلم منهم الأدب؛ هذا الإمام أحمد وهو مَن هو، ومكانتُه في العلم، والإمامة في هذا الدّين، عندما أجاب عزا العلم إلى من قبله؛ إلى سَلفِه، ونحن اليوم الواحد يتعلّم كلمتيْن؛ يقول لك: والله أنا أرى، وفي نظري، والمسألة فيها قولان، وفلان أخطأ، والصّواب معي؛ يُنظّر وكأنّه شيخ الإسلام!

هذا الإمام أحمد؛ هذه طريقته في الجواب؛ قال: (الذي كنّا نسمع وأدْركنا عليه من أدْركْنا من سلفِنا من أهل العلم: أنّهم كانوا يكرهُون الكلام والجُلوس مع أهل الزّيغ)؛ يعني أهل البدع؛

(وإنّما الأمور في التّسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنّة رسول الله)؛

دينُنا دين تسليم، دين انقياد؛ ما هُو دين عقل، وتفكير، واجتهاد، واختراع، وابتكار، وابتداع؛ لا؛ دينُنا دين تسليم، ننظُر ماذا كان عليه سلَفنا؛ ونمشي عليه فقط، ليس أكثر من هذا، نحن ما عملُنا الآن؛ ماذا نفعل؟ نتعلّم ممّا هم علّمونا إيّاه ونُعطيه إليكم فقط؛ ليس أكثر من هذا؛ تجميع للعلم وأداءه، ليس إلّا، الحمد لله كلُّ شيء قد انتهى؛ بُيِّنَ، ووُضّح، وشُرِح بما فيه الكفاية، وعملنا فقط هو: التّبليغ.

قال الإمام أحمد: (وإنّما الأُمُور في التّسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنّة رسول الله، لا في الجلوس مع أهل البدع والزّيغ لِتَرُدّ عليهم)، ما هذه طريقة السّلف؛

(فإنّهم يُلبّسون عليك)؛ هذا معروف: أهل البدع يلِف أحدهم ويدور ويكذِب في كلامه؛ فكيف تضبط مثل هذا؟!

(وهُم لا يرجِعون)، هذا حال أهل البِدع؛ المُبتدِع عندما يَتشرّب قَلبَه البِدعة؛ إلّا أن يشاء الله

سبحانه وتعالى أن ينزِعَها من قلبِه، وهم لا يرجعون إلى الحق؛ هم أصحاب أهواء، نفوسهم مريضة،

(فالسّلامة إن شاء الله في ترك مُجالستِهم، والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم؛ فلْيتّقِ الله امرؤ، ولْيصير إلى ما يعود عليه نفعُه غداً من عملٍ صالح يُقدّمه لِنفسه، ولا يكُن ممّن يُحدث أمراً، فإذا هو خرج منه؛ أراد الحجّة؛ فيحمِل نفسَه على المُحَال فيه، وطلب الحجّة لِما خرج مِنه بحقٍّ أو بباطِل؛ لِيُزيّن به بدعتَه)،

يعني في النّهاية عندما يكون قد اخترع قولاً جديداً؛ يريد لَه دليلاً ويبحث له عن دليل، ثمّ يجد لَه شبهة دليل؛ فيبقى يُزيّنُ به ضَلاله،

(وما أحدث، وأشدُّ من ذلك أن يكون قد وَضعه في كتابٍ قد حُمِلَ عنه؛ فهو يريد أن يُزيّن ذلك بالحق والباطل)؛

هذا حال أهل البدع: يضع كتاباً، ثمّ يُحمَل عنه هذا الكتاب ويُنشر، ثمّ يبدأ في هذا الكتاب الذي وضع بدعتَه فيه؛ يزيّنُه بشيء من الحق والباطل؛ وهذا لا بدّ منه؛ فما من مبتدع إلّا ومعه شيء من الحق والباطل؛ وإلّا كيف يُزيّن بضاعتَه؟ كيف يُمرّرُها على النّاس؟ لَو كان كلُّ ما عندَه باطلاً؛ لَترَكه النّاس؛ لكنه في بداية كلامه مَعك، إذا أراد أن يصْطادك؛ يُظهر لك أحسن ما عنده، ويُظهر لك الحق بأدلة؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ؛ ثمّ بعد ذلك عندما يتمكّن من قلبك؛ يبدأ يُعطيك ويُلقّنُك الباطل الّذي عنده؛ لماذا؟

لأنّك خلاص؛ تكون قد أمَّنْت لَه، واستقرّ في نفسك أنّه من أهل العلم، وأنّه من أهل التّقوى، تبدأ بالأخذ من ضلالاته، وتتمكّن في قلبك؛ فمن الذي يُخرجُها بعد ذلك؟

قال: (وإن وضَح لَه الحقّ في غيره)، يعني: حتّى لو تَبيّن له الحقّ في غيره؛ خلاص يُصرُّ على ما هو عليه،

(ونسأل الله التوفيق لنا ولك، والسّلام عليكم)؛ هذا كلام الإمام أحمد رحمه الله، وكلام الآجرّي، وكتب الاعتقاد كلّها واحدة عند أهل السنّة؛ افتح الآن "**الشّريعة** " للآجرّي، "**الإبانة**" لابن بطّة، "**شرح اعتقاد أهل السنّة والجماعة**" لِلالكائي "**شرح السنّة**" للبغوي، وغيرها من كتب الاعتقاد، كُتب السّلف؛ كلّها كلامُهم فيه واحد،

هذا منهج أهل السنّة؛ كلّه خرج من مشكاة واحدة وطريقتهم واحدة.

ولمّا فتح بعض أهل الضّلال اليوم على أنفسهم باب المناظرة لأهل البدع؛ وجدناهم بعد ذلك غائصين في الضّلالة، وفي البدع، كانوا في البداية يُظهرون السنّة، ويُظهرون الاتباع، ثم بعد ذلك قليلاً قليلاً؛ صاروا يُعلنون البدع والضلال، بعد مناظراتهم لأهل البدع ومُجالساتْ طويلة معهم؛ نسأل الله لنا ولكم السّلامة.

قال المؤلف: (فإنّ استماعك منهم، وإن لم تقبل منهم؛ يقدح الشّك في قلبك)

أذكر مرّة أحد المشايخ؛ كان من الأسلوب الذي يعلّمناه -هو من مشايخي- كان يجلس مع الشّخص ويتكلّم معه ويُبيّن له الحق من الباطل، وأحياناً: الآخر يكون عنده شيء من التّمسّك بقوله، وعدمُ الخُضوع للحق؛ فيُكلّمه الشيخ ويصبر معه، وبعدما ينصرِف أقول للشّيخ: مالَك تُتعب نفسك وأنت ترى منه ما ترى من عدم قبوله للحق؟ فيقول لي: قُل كلمتَك وامضِ؛ فإنّه وإن لم يسمع لك الآن؛ إلا أنها ستبقى في نفسه تدور؛ وهذا كلام صحيح، وهذا الذي ذكره المؤلف هنا، وإن كنت لم تقبل منه أنت؛ لكن أقلّ الأحوال: كَلمتُه تُرمى في قلبِك فتُنتِج شكّاً؛ تتخبّط، تضيع، هذا جهم بن صفوان؛ رأس الجهميّة، ما الذي ضيّعه؟

كان ضعيف العلم، وذهب يُناظر بعض المُلحِدين، وبعد مُناظرتهم: شكّ في دينه، وجلس في بيتِه أربعين يوماً أو ما قارب؛ ثمّ خرج بدينه الجديد الذي هو عليه! نتيجة هذه المُناظرة، أقلّ الأحوال: أنّهم يُوقعُون الشّك في قلبك ممّا أنت فيه؛

(وكفى به قَبولاً) لَو وقع الشّك في قلبك يكْفيك هذا؛ فتهلِك بعد ذلك

قال: (وما كانت زندقة قطّ) الزندقة: النّفاق.

قال: (ولا بدعة، ولا هوًى، ولا ضلالة؛ إلّا من الكلام، والجدال، والمراء، والقِياس)؛ كلّ البدع تنتج من هذه الأمور

(وهي أبواب البدعة والشّكوك والزندقة)؛ تفتح عليْك باباً للضلالات.

قال: ([155] فالله اللهَ في نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالآثارِ وَأَصْحابِ الأَثَرِ والتَّقْليدِ؛ فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّما هُوَ بِالتَّقْليدِ، يَعْني للنّبي ﷺ وأصْحابِه رِضوان الله عليهم أجمعين، وَمَنْ قَبْلَنا لَمْ يَدَعونا في لَبْسٍ؛ فَقَلِّدْهُمْ وَاسْتَرِحْ، ولا تُجاوِزْ الأثَرَوأَهْلَ الأَثَرِ)

يعني اتق الله في نفسك، واحذر على دينك.

قال: (وعليْك بالآثاروأصحاب الأثروالتّقليد)

هذا الواجب عليك أن تسير عليه؛ الزمْهُ؛ يقول لك: الزم الآثار؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ، قال أصحاب رسول الله ﷺ، قال سلفنا الصّالح رضي الله عنهم؛ لذلك من أراد أن يبقى على الجادة؛ فلا يقُل بقول إلّا وله فيه إمام؛ إمام من أئمة السنّة قال به؛ هذا من أراد أن يبقى على الطريق.

وعليك بالآثار وأصحابِ الأثر؛ الّذين عُرِفوا باتّباع منهج أهل الحديث؛ كانوا يُسمّوْنَ قديماً: "أهل الحديث"؛ هؤلاء لا يُعمِلون عقولهم عند وجود النّص الشّرعي؛ بل يأخذون ب: قال الله، قال رسول الله ﷺ؛ الرّأي عندهم هذا مُتأخِّر.

(وأصحاب الأثرِوالتّقليد)

المقصود بالتّقليد هنا: الاتّباع الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به: ﴿وَالسّابِقُونَ الأَوّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالذِينَ اتّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾؛ هذا الذي نحن مأمُورون به،

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَه الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ فنحن مأمُورون بالاتّباع؛ اتّباع منهج السلف الصّالح رضي الله عنهم، فمن اتّبَع ولم يخترع ويبتدِع؛ فقد نجا.

قال: (فإنّ الدّين إنّما هو بالتّقليد)؛ هذا كلام المؤلّف: (فإنّ الدّين إنّما هو بالتّقليد)

فقط؛ يعني دين الله سبحانه وتعالى الذي أراد مِنك أن تتّبعه: هو اتّباع؛ هذا معنى التّقليد هنا؛ أن تتّبع؛ تتّبع الصّحابة، ومن كان على نهجِهم، يعني للنّبي ﷺ وأصحابِه رِضوان الله عليهم أجمعين؛ هذا هو دينُنا.

قال: (ومن قَبْلنا لم يدعونا في لَبسٍ)

يعني: لم يتركوا لنا من الدّين شيئاً نحتاجُه إلّا وبيَّنُوه لنا، وشرحُوه لنا، ما تركونا نتخبّط، ما تركوا الأمور غامضة تحتاج إلى إيضاح؛ هم قد وضّحوا وبيّنوا وانتهى الأمر.

قال: (فقلِّدْهم واسترح)

اتّبِعهم على دينهم وأرح نفسك، خير لك من أن تضل، وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله

عنه: "اتّبعوا ولا تَبتدِعوا فقد كُفيتُم"؛ من هنا أخذ المؤلف هذا الكلام: (فقلّدهم واسترح)؛ اتَّبع ولا تبتدِع فقد كُفِيتَ؛ نفس معنى كلام ابن مسعود.

قال: (ولا تُجاوِز الأثروأهل الأثر)

لا تتجاوز علماء الأثر، لا تتجاوز النّبي ﷺ وأصحابه ومن كان على نهجهم من أئمة الهدى، لا تتجَاوزهم.

انظر الكلام! تقريباً من أوّل ما بدأْنا الكتاب إلى هنا وهو يكرر، ويعيد ويزيد نفس الأمر؛ لأنّه يَرسِم منهجاً؛ الطريق الذي كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك النّاس"؛ كلمة إمام أهل الشّام في زمنه: الأوزاعي رحمه الله: "عليك بآثار من سلف" تمسّك بها؛ "وإن رفضك النّاس"، يقول: النّاس ينظرون إليّ بنظرة اشمئزاز، ولا أعجبهم، يقولون: مُتطرّف، إرهابي؛ أيّ شيء من هذه الألفاظ؛ لا يهمّك أحد؛ فليقولوا ما شاءوا؛ هذا كلُّه لن يضرّك عند الله سبحانه وتعالى؛ المُهم الذي ينفعك والذي يضرُّك عند ربّك تبارك وتعالى؛ فتكون على الحق فقط؛ قال: (ولا تُجاوِز الأثر وأهل الأثر) يعني ابقَ ملازماً لهم.

قال: ([156] وَقِفْ عِنْدَ مُتَشابِهِ القُرْآنِ والحَدِيثِ، ولا تَقِسْ شَيْئاً)

ذكرنا فيما مضى أنّ الأدلّة الشرعية تنقسم إلى قسمَين: أدلّة محكمة، وأدلّة متشابهة؛ قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ اِبْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَاِبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللهُ وَالرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلّا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾؛ فالأدلّة الشّرعية تنقسم إلى قسمَين: أدلّة مُحكَمة، وأدلّة مُتشابهة؛ الأدلّة المُحكمة: هي الأدلّة الّتي لا تُعطي إلّا معنًى واحداً ما تَشتبِه عليك في دلالتها؛ كقول الله تبارك وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اِسْتَوَى﴾ دليل واضح صريح،

قول النّبي ﷺ للجارية: "أين الله"؟ قالت: في السماء، قال: "أعتقها فإنّها مؤمنة"؛

قول صريح، لا يحتاج إيضاحاً؛ هذا يسمّى دليلاً مُحكماً.

وهناك أدلة متشابهة في الشّرع تعطي أكثر من معنى؛ فيشتبه الأمر عليْك فيها؛ فما واجبك عندئذ في هذه الأمور؟

نُعطي أولاً مثالاً على الأدلة المُتشابِهة: قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾، هذه الآية دليل؛ هذه الآية تحتمل أكثر من معنى في دلالتِها؛ فأنت الآن واجبك أن تأخذ بالدّليل المُحكم وأن تردّ الدّليل المُتشابه إلى المُحكم؛ وتفهمه بناءً عليه، الآن عندنا الدّليل المحكم أنّ الله سبحانه وتعالى في العُلو؛ عالٍ على خلقه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اِسْتَوَى﴾ وأدلّة كثيرة، قال الذَهبي - رحمه الله - قُرابة الألف دليل عنده على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقِه، إذن عندما يأتِينا دليل مثل هذا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾ ماذا نفعل به؟

ننظر إلى سياق الآية، ومن خلال سياق الآية ومع وجود الأدلة المُحكمة؛ نفهم أنّ هذه المَعيّة: معيّة السّمع، البصر، الإحاطة؛ هذا المقصود بالمعيّة، وليست معيّة الذّات؛ هذا المقصود بهذه الآية؛ فصارت هذه الآية متشابهة، رددْناها إلى المُحكمة كي تنسجِم معها، ولا تتعارض.

مثال آخر: قال النبي ﷺ:"إنّكم سترَوْن ربّكم يوم القيامة كما ترَوْن هذا القمر لا تُضامُّون في رؤيته"، هل يوجد احتمال في هذا الحديث على أنّنا لن نرى ربنا يوم القيامة؟

لا؛ لا يوجد؛ دلالة واضحة جدّاً على رؤية الله تبارك وتعالى؛ هذا الدليل يسمى: دليلاً مُحكماً.

هل يوجد أدلة متشابهة يستدلّ بها أهل البدع؟

نعم؛ كقول الله تبارك وتعالى لموسى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي﴾؛ هذا الدّليل يحتمل أحد أمرين:

- إمّا أنّك لن تراني مُطلقاً،
- أو أنّك لن تراني في الدّنيا؛

احتمل هذا واحتمل هذا.

من أين أتينا بالاحتمال الثّاني؟

لأنّ موسى لمّا طلب الرّؤية؛ طلبها في الدّنيا؛ إذاً صار عندنا احتمال؛ هنا احتمال أنّك لن تراني مُطلقاً،

لكن لمّا جاء هذا الحديث وهو مُحكم في دلالته؛ يدلّ على رؤية الله يوم القيامة؛ إذاً ماذا نفعل

بالدليل الثّاني؛ على أيّ معنى نحمله؟ على معنى: أنّك لن تراني في الدّنيا
وبذلك يكون مُنسجماً متوافقاً مع الدّليل الآخر.
هذا الثّاني احتمل أكثر من معنى؛ فكان مُتشابهاً.
أهل السنة يتمسّكون بالمُحكمات ويجعلونها أصولاً لدينهم ويرُدّون المتشابهات إلَيْها؛
فيفهمُون المُتشابه بناءً على المُحكم، وأما أهل البدع فيعكِسون؛ لأنّ في قلوبهم مرَضاً؛ فيترُك المُحكمات، ويأتي إلى الأشياء التي تُوافق هواه؛ فيتمسّك بها، هؤلاء الذين قال فيهم النّبي ﷺ: "إذا رأيتم الذين يتّبعون المتشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله؛ فاحذَرُوهم"،
هذا تحذير من النّبي ﷺ من المبتدعة: أصحاب الأهواء؛ فاحذَرُوهم، يُحذّر منهم، الذي يترك الأدلّة المحكمات ويأتي إلى المُتشابهات.
الموسيقى: نسمع اليوم يأتُون يخرُجون علينا في الفضائيّات ويستدلّون بأدلة، ما الدّليل عندهم على جواز الموسيقى؟
يقول: قال النّبي ﷺ لأبي موسى :"لقد أوتِيتَ مِزماراً من مزامِير آل داود"[1]، إذاً كان معه مزمار؛ إذاً المزمار جائز؛ آلة موسيقية-يعني مع داود- هذه شبهة على الجواز يُلقونها، ويترُكُون حديث النّبي ﷺ:"سيكون في أمّتي أقوام يستحلّون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف"[2]؛ دليل واضح على تحريم المعازف؛ يتركون هذا المُحكم ويُعِلُّونه بعلّة واهية، زلّت قدم ابن حزم وأعلّ الحديث بها، وردّ عليه العلماء لا واحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا عشرة، وأبطلوا قوله، يتركون هذا كلّه، ويذهبون إلى ما يُوافق أهواءهم؛ فيعلُّون هذا الحديث ويتمسّكون بالمُتشابه.
أبو موسى الأشعري لمّا قال له النّبي ﷺ هذا الكلام؛ ماذا كان يفعل؟
لم يكن يضرب على الدّف، أو الموسيقى ولا شيء؛ إنما كان يقرأ القرآن بصوت حسن؛ فقال له: "أوتِيتَ مزماراً من مزامير آل داود"؛ أي: أوتيت صوتاً حسناً كصوت داود عليه السّلام،

---

(1) أخرجه البخاري (5048)، ومسلم (793) عن أبي موسى رضي الله عنه.
(2) أخرجه البخاري (5590) عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري.

والمزمار في لغة العرب يُطلق على الصّوت الحسن؛ فيتركون هذا ويأخذون بالمعنى الآخر، ما هذا؟ إنه مرض في القلوب، لِذلك من تجِده يستحلّ الموسيقى؛ فاعلم أنّه مريض القلب؛ لأنّه يتّبع المتشابه ويترك المحكمات في هذه.

هذه الأمثلة ربّما يورِد شخص مثلاً على نفسه سؤالاً: لماذا جعل الله تبارك وتعالى الأدلّة منها مُحكمات ومنها مُتشابهات؟ لماذا لم يجعلها كلها محكمات، وانتهَيْنا من هذه النّزاعات، والمشاكل، ووجود هذه البدع، وأهل البدع الذين يخرجون كل يوم بضلالة جديدة؟

نقول لك: لله سبحانه وتعالى حِكم في كل شيء؛ يميِزُ بذلك الخبيث من الطّيب، ويتبيَّن بذلك صاحب الهوى الذي يريد أن يتّبع ما يوافق هواه، وصاحب الحق الذي يتّبع الدّليل؛ لأنّ الله يُحبّه ويرضاه؛ يحب الحكم الذي قضى به ويرضاه؛ ولذلك يتّبِعه.

وصاحب الهوى يتّبع ما يُوافق هوى نفسه، لا ما يريد الله سبحانه وتعالى؛ فيتميّز بذلك الخبيث من الطّيّب، ويظهر.

تقول لي: طيّب؛ الله سبحانه وتعالى يَعلَم الخبيث من الطّيّب من دون هذا؟

أقول لك: الله سبحانه وتعالى لا يُحاسب النّاس بعِلمه؛ بل يحاسب النّاس بأفعالهم؛ لِذلك جعل أسباب دخول الجنّة والنّار هي الأعمال، فإذا لم يعمل؛ لا يُحاسبُه الله سبحانه وتعالى على ذلك حتّى يعمَل.

ثم آخر ما يتعلق بهذا الموضوع: كيف تُميّز بين المُحكم والمُتشابه؟

المُحكمات- كما ذكرنا- تدلّ على معنى واحد، أدلّة جمعتْ بين قوّة الإسناد- قوة الثّبوت-، وقوّة الدّلالة؛ هذه تُسمّى مُحكمات؛ قويّة في ثبوتها؛ في صحتها، وقوية في دلالتها؛ يعني ظهور المعنى المأخوذ منها؛ هذه تُسمّى المحكمات.

نرجع إلى كلام المؤلف؛ يقول: (**وقِف عند متشابه القرآن والحديث ولا تقِس شيئاً**)

يعني خذ بالأدلّة المحكمات، وإياك أن تضيع مع المتشابهات، ما فهمْته منها بناءً على ردّه إلى المحكم؛ فالحمد لله، وما لم تَفهمه؛ فتوقَّف فيه، ولا ترُدّ الأدلّة الواضحة الظّاهرة بمثل هذه الأدلّة المتشابهة.

قال: ([157] ولا تَطْلُبْ مِنْ عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدَّ بِها على أَهْلِ البِدَعِ؛ فَإِنَّكَ أُمِرْتَ بالسُّكوتِ عَنْهُمْ، ولا تُمَكِّنْهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، أما عَلِمْتَ أنَّ مُحَمَّدَ بنَ سيرين رحمه الله معَ فَضْلِه؛ لَمْ يُجِبْ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ البِدَعِ في مَسْأَلَةٍ واحِدَةٍ، ولا سَمِعَ مِنْهُ آيةً مِنْ كتابِ الله عز وجل، فقيل له، فقال: "أَخافُ أَنْ يُحَرِّفَها؛ فَيَقَعَ في قلبي شيءٌ")

قال: (ولا تطلب من عندك حيلة ترد بها على أهل البدع)

يعني أن تسمع بضلالة؛ تريد أن تردّ على هذه الضّلالة، فتبحث وتفتّش عن ردّ لهذه الضّلالة من عندك؛ باجتهادك، ربّما تذهب لتردّ ضلالة فتردّها بمثلها؛ فلِذلك يُحذّرك المؤلّف من فعلك هذا؛ فقال: (ولا تطلب حيلة من عندك تردّ بها على أهل البدع؛ فإنّك أُمِرت بالسّكوت عنهم) فقط، ابتعد عنهم.

قال: (ولا تمكِّنهم من نفسك)

لا تجادلهم، ولا تتكلّم معهم وتصير تبحث عن أدلة لتردّ على باطلِهم؛ دع هذا للعلماء يردّون على كلامهم من غير أن يُجالسوهم؛ فالعلماء عندما ينتشر كلام هؤلاء بين الناس، ويصير له خطورة؛ يردُّون عليهم مباشرةً، أحياناً بعض الكلام لا ينتشِر، يُراسلني بعض الشباب ويأتي بكلام مغمور من شخص مغمور؛ يقول يا شيخ رد على هذا!

أرد على ماذا؟ إنسان ميّت وكلامه ميّت مدفون؛ تُظهره للناس وتنشُره أنت بنفسك؛ لماذا؟! هذا خطأ؛ ما هكذا.

البدعة التي يجب أن تُردَّ: هي التي تنتشر بين النّاس وتصير خطيرة على دينهم؛ عندئذ تردَّها، لكن لا تذهب أنت وتنشر البدعة بالرّد عليها، وهي مغْمورة ميّتة؛ خطأ، هذا التصرُّف غير سليم.

قال: (أما علمت أن محمّد بن سيرين رحمه الله؛ مع فضله)

فضله ومكانته في العبادة والزُهد والتّقوى والعلم والرّسوخ في العلم رحمه الله؛ هو أحد أئمة التّابعين

قال: (مع فضله لم يُجِب رجلاً من أهل البدع في مسألة واحدة، ولا سمِع منه آية من كتاب الله عزّوجل؛ فَقيل له؛ فقال: "أخَاف أن يُحرِّفها فيَقع في قلبي شيء!)

هذا محمّد بن سيرين! إيّاك أن تُحسن الظّن بِنفسك؛ بعلمك أو بتقواك، أبداً؛ قلوب العباد بين أصبُعيْن من أصابع الرّحمن يقلّبها كيف يشاء، فاحذَر من أن تُعرِّض دينَك للخطر، هذا محمّد بن سيرين إمامٌ في زمنه، جاءه رجُلان وقالا له: نريد أن نكلّمك في مسألة؛ فقال: ولا كلمة، قالوا: نقرأ عليك آية، قال: ولا آية، قالوا له: يا إمام ما منَعك أن تسمع منهم آية من كتاب الله- قرآن-؟ قال: أخاف أن يحرّفاها فيقع ذلك في قلبي فأَزيغ!

هذا محمد بن سيرين رحمه الله؛ لِذلك أنت من باب أولى أن تُغلق على نفسك هذا الباب؛ باب الشّر، ولا تُعرّض نفسك للخطر.

انظر حديث النّبي ﷺ في الدّجال: "من سمِع منكم به فلْيَنْأ عنه"؛ يهرب، يفر منه؛ "فإنّ الرّجل يأتيه وهو يظنّ أنّ عنده من الإيمان ما عنده"، يعني يمنعه من الوقوع في شبهاته؛

قال: "فيقع في شبهاته" مِمّا معه من شبهات؛ الشبُهات خطيرة، يضيع الرّجل، يأتيه وهو مؤمن، مُعتمد على إيمانه؛ فيضيع، لا تعتمد على هذا، ما تدري والله أحياناً تظن في نفسك ثبوتاً ورسوخاً، تُعرّض نفسك لِفتنة؛ تشعُر بنفسك أنّك تَزلْزلْت؛ فاحذَر بارك الله فيك، المسألة لا تحتمل مُقامَرة؛ المسألة دين؛ إمّا جنّة أو نار.

ثمّ قال: ([158] وإذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يقولُ: "إنّا نَحْنُ نُعَظِّمُ الله" إذا سمعَ آثاررسولِ الله ﷺ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ أَثَرَرسولِ الله ﷺ، وَيَدْفَعَهُ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ؛ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعَظِّمُ اللهَ وينَزِّهُهُ إذا سَمِعَ حَديثَ الرُّؤْيَةِ، وَحَديثَ النُّزولِ، وغيره، أَفَلَيْسَ قَدْ رَدَّ أَثَرَرسولِ الله ﷺ إذا قالَ نحنُ نُعَظِّمُ اللهَ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ؟ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ أعْلَمُ باللهِ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَاحْذَرْهؤلاءِ؛ فَإنَّ جُمْهورَ النَّاسِ مِنَ السُّوقَةِ وغَيْرِهِمْ على هذا الحالِ، وَحَذِّرِ النَّاسِ مِنْهُمْ)

لا تغتر بدعاوى أهل البدع؛ واحذَر

إذا ذكرت للجَهْمِيّ آية في كتاب الله فيها إثبات صفة الله؛ يقول لك: لا؛ نحن نعظّمُ الله أن يتّصف بهذه الصّفة! وننزّهُه أن يُشابه المخلوقين؛ فننفي عنه ما أثبت لِنفسه في الكتاب أو في السنّة من أجل أن نُعظّمَه؛ هكذا هي شُبهتهم، يقول: الله في العلو، معناها يشبه الخلق؛ ما يجوز هذا، يحيط به مكان؟ أعوذ بالله؛ لا؛ عظِّم الله سبحانه وتعالى؛ الله ليس في العُلو.

الله سبحانه وتعالى له عينان؟ أعوذ بالله؛ يشبه البشر؟! لا؛ نعظِّم الله سبحانه وتعالى؛ ننفي

العينَين عن الله.

طيب: تنفي عنه العينين، تنفي الرحمة، الكرم، ...إلخ من الصّفات! ماذا أبْقيْت؟!

لم يعد هناك شيء؛ لِذلك قال أهل العلم: الجهميُّ يعبد عدماً.

ولمّا كان أحد السّلف يتكلم مع أحدهم، فذكر له: لا كذا ولا كذا؛ قال: "أولئك قوم قد أضاعوا ربّهم"؛ هذا هو حال الجهميّة؛ فلا تغترّ بقوله: نحن نعظّم الله فلِذلك ننفي الصفات عنه! هذا ليس من تعظيم الله، لو عظَّمتم الله سبحانه وتعالى؛ لآمنتم بما قال عن نفسه؛ فهو أدرى بِنفسه: ما الّذي يجوز له وما الّذي لا يجوز، وبما أنّه وصف نفسه في الكتاب والسنّة بصفة؛ فيجب عليكُم أن تأخذوا بها، وأن تُنزّهوه عن مشابهة المخلوقين، وانتهى الأمر؛ هكذا يكون تعظيم الله سبحانه وتعالى: عظَّمتم الله سبحانه وتعالى، نفَيْتم عنه مماثلة المخلوقين، وفي نفس الوقت: أثبتُّم له ما أثبت لنفسه؛ كما قال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾؛ هكذا يكون تعظيم الله سبحانه وتعالى.

يقول لك: لا تغترّ بهذا؛ بمن يقول لك: والله أنا أعظِّم الله إذا سمع الأثر عن رسول الله ﷺ، وفي الأثر إثبات صفة لله تبارك وتعالى؛ فينفي الصفة ويرُدّ الأثر من أجل أن يعظّم الله سبحانه وتعالى في زعمِه!

طيّب، من أين لك أنّ هذا تعظيم لله؟!

من عقله! وهذا هو دينُهم: العقل مُقدّم على النّقل، قاعدتهم العظيمة التي هي طاغوت هدموا بها دين الله سبحانه وتعالى.

قال: (فاعلم أنّه جهميّ يريد أن يردّ أثر رسول الله ﷺ) هذه حقيقة قوله؛

(يريد أن يردّ الأثر، ويدفعه بهذه الكلمة، وهو يزعُمُ أنّه يعظّم الله وينزّهُه، إذا سمع حديث الرّؤية)؛

رؤية الله سبحانه وتعالى: " إنّكم ترَوْن ربّكم كما ترَوْن القمر لا تُضامُّون في رؤيتِه"؛ ينفي عن الله الرّؤية التي أثبتَها النّبي ﷺ لربّنا تبارك وتعالى،

(وحديث النّزول)؛ نزول الله سبحانه وتعالى، (وغيره).

أعظم صفات خالف فيها أهل البدع أهلَ السنّة والجماعة:

١- رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

٢- وعلو الله تبارك وتعالى على خلقه؛ فحديث النزول هذا يدلّ على العلو.

٣- والثّالثة: كلام الله تبارك وتعالى؛ إنّ الله يتكلّم كلاماً حقيقياً يليق بعظمته وجلاله.

قال: (أفليْس قد ردّ أثر رسول الله ﷺ إذا قال: إنّا نحن نعظّم الله أن ينزل من مَوضع إلى مَوضع؟) يريد أن يعظّم الله سبحانه وتعالى؛ فنفى عنه ما أثبت لنفسه.

قال: (فقد زعم أنّه أعلَمُ بالله من غيره)

زعم أنّه أعلم بالله من الله؛

(فاحَذرهؤلاء؛ فإنّ جمهور النّاس من السُّوقة وغيرهم على هذا الحال؛ وحذِّر النّاس منهم)، ليس فقط أنت تحذرهم؛ بل حذِّر النّاس منهم أيضاً؛ فهؤلاء خطرٌ على دينك وعلى دين النّاس.

قال: ([159] وإذا سَأَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ في هذا البابِ، وَهُوَ مُسْتَرْشِدٌ؛ فَكَلِّمْهُ وَأَرْشِدْهُ، وإذا جَاءَكَ يُناظِرُكَ؛ فَاحْذَرْهُ؛ فَإنَّ في المُناظَرَةِ: المِراءُ، والجِدالُ، والمُغالَبَةُ، والخُصومَةُ، والغَضَبُ، وَقَدْ نُهِيْتَ عَنْ جَميعِ هذا جِدَّاً، وَهُوَ يُزِيلُ عَنْ طَرِيقِ الحَقِّ وَلَمْ يَبْلُغْنا عَنْ أَحَدٍ من فُقهائِنا وعُلمائِنا أنّه ناظَرَ أوْ جَادَلَ أوْ خَاصَمَ)

قال: (في هذا الباب):

يعني فيما نحن فيه من مسائل الأسماء والصّفات، ومسائل الاعتقاد.

قال: (وهُوَ مُسترْشدٌ)

يعني جاء يريد الرّشد، يريد الهداية، يريد معرفة الحقّ من الباطل.

قال: (فكلِّمْه وأرْشِدْه) بيّن لَه بعلمٍ.

قال: (وإذا جاءك يُناظرُك؛ فاحْذرْه؛ فإنّ في المناظرة: المِراءُ، والجدال، والمُغالبة، والخصومة، والغضب، وقد نُهيتَ عن جميع هذا جدّاً)؛

كل هذا قد نُهينا عنه، والمناظرة فيها كل هذا.

قال: (وهو يزيل عن طريق الحق)

يعني: المناظرة تزِلُّك عن طريق الحق.

قال: (ولم يَبلُغنا عن أحد من فُقهائِنا وعُلمائِنا أنّه ناظر أو جادل أو خاصم)؛

هذا منهج السّلف رضي الله عنهم، فدعْنا من بُنيّات الطّريق.

قال: (قال الحسن البصري -رحمه الله تعالى-: "الحكيمُ لا يُماري ولا يُدَاري، وحِكْمَتُهُ يَنْشُرُها إنْ قُبِلَتْ؛ حَمِدَ الله، وإنْ رُدَّتْ؛ حَمِدَ الله"، وجاءَ رَجُلٌ إلى الحَسَن؛ فقال: "أنا أُناظِرُكَ في الدِّينِ، فقالَ الحسنُ: أَنا عَرَفْتُ ديني، فَإنْ ضَلَّ دِينُكَ؛ فَاذْهَبْ فَاطْلُبْهُ)

قال: (الحكيم لا يُماري ولا يداري)

لا يجادل؛ جدالاً عقيماً، ولا يداري: لا يداري أهل الباطل؛ بل يُبيّن الحق من الباطل.

قال: (وحِكمتُه ينشرها) ينشرُ علمه، ولا يسكت عنه.

قال: (إن قُبِلت؛ حمِد الله، وإن رُدّت؛ حمد الله)

فهو على خير في جميع الأحوال، قبِلتم الحق؛ انتفعتُم، ما قبِلتُم؛ ضررْتُم أنفسكم، هو بالنسبة له: الحمد لله؛ يعلَم الحقّ من الباطل، ويدعو إليه ويمضي، وكلّما تكلّم بكلمة؛ أُجِرَ عليها، وكلّما دعا إلى الحقّ أخذ منه أجراً؛ فالحمد لله هو على خير، يحمد الله سبحانه وتعالى على جميع الأحوال، لا يهمّه من يتّبعه ولا من يقلِب عليه ليس مهماً.

قال: (وجاء رجل إلى الحسن فقال: أنا أُناظِرُك في الدّين)

الحسن: هو الحسن البصري.

قال: (فقال الحسن: أنا عرفتُ ديني، فإن ضلّ دينُك؛ فاذهب فاطْلُبْهُ)

يعني أنا ديني والحق الذي أنا عليه أعرفه والحمد لله؛ على بيّنة منه، أمّا أنت، إذا ضيّعت دينك؛ فاذهب وابحث عنه؛ هذا المقصود، لماذا أناظرك؟! ما عندي شغل بِمُناظرتِك؛ هكذا كانت أجوبة السّلف رضي الله عنهم.

وكذلك الإمام مالك؛ له ردّ مثل ردّ الإمام الحسن البصري رحمه الله؛ لأنّهم جميعاً يأخذ بعضهم عن بعض، عندما جاءه أحد أهل البدعة، الإمام مالك ماذا قال؟ يسأل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اِسْتَوَى﴾؛ كيف استوى؟ يريد أن يجادل؛ بدأ، فتح الموضوع، رد عليه بكلمتين: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسّؤال عنه بدعة، وما أراك إلّا مبتدعاً، أخرجوه عنّي"؛ هكذا يكون ردّ أهل السنّة؛ اليوم لو فعلت هذا؛ يقال عنك: هذا متشدّد!

قال المؤلف: (**واعْلَمْ أَنَّ الدِّينَ هُوَ التَّقْليدُ؛ والتّقليدُ لِأصحابِ رسولِ الله ﷺ**)

المقصود بالتّقليد: هو الاتّباع: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالذِينَ اِتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرُضُوا عَنْهُ﴾،

فيكُون اتّباعك لأصحاب النّبي ﷺ ولمنهجهم، اتّباع منهج السّلف الصّالح واجب؛ وليس أمراً مستحبّاً؛ لأنّ الحقّ لا تصِلُه إلّا عن طريقهم، والجنّة لا تعرف طريقها إلّا من خلالِهم؛ كما قال عليه الصّلاة والسّلام: "ستفترق هذه الأمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة؛ قالوا من هي يا رسول الله؟

قال: ما أنا عليه وأصحابي"؛

إذا فتلْزم طريق النّبي ﷺ وطريق أصحابه رضي الله عنهم.

نكتفي بهذا القدروالحمد لله.